

أسبوعيات نائب الاحد، ٢٠ أكتوبر، ٢٠٠٢

عن الديمقراطية والوزارة ورواج سوق الوسطاء الحقيقيين والوهميين

ناهض منير الرئيس

النائب عن مدينة غزة

ما كان لنا أن نتوقف طويلا في أول أيام السلطة الوطنية الفلسطينية أمام ألقاب الوزارة التي أطلقها الرئيس ياسر عرفات على أعضاء المجلس التنفيذي الأول، ثم لصقت بأعضاء المجلس الثاني المنتخب بعد انتخابات ١٩٩٦. لقد أراد الرئيس، الذي يهتم اهتماما خاصا بتأثير المظهر البروتوكولي في إحداث الحقائق الفعلية، أن يكون الاتفاق الانتقالي تمهيدا لتأسيس الدولة - الحلم، بحيث يغدو الرجال الذين ما زال الأمريكيون والإسرائيليون مصممين على وصفهم بأنهم "مسؤولو ملفات" وزراء بحق وحقيق، ويغدو مجلسهم وزراء، ويغدو الرئيس نفسه رئيسا وليس مجرد مستر تشيرمان.

ما كان لنا أن نتوقف طويلا في أول أيام السلطة أمام أي مظهر من شأنه أن يتيح الانتقال من مرحلة الاحتلال إلى مرحلة الاستقلال. بل إننا شاركنا في إقرار هذه المظاهر والألقاب. ولكننا نواجه اليوم وضعا مختلفا أعلن فيه رئيس وزراء إسرائيل أريئيل شارون إلغاء الاتفاق الانتقالي مرارا، وأعاد الأمور على الأرض إلى مرحلة الاحتلال المباشر، وراح ينسج خيوط واقع جديد قائم على تدمير قوى المقاومة الفلسطينية وتدمير البنية التحتية الاقتصادية الفلسطينية وحصر الفلسطينيين مستقبلا في معازل ضئيلة منفصل بعضها عن بعض وغير ذات مستقبل، وذلك كله بتأييد ضمني من الولايات المتحدة التي تعتقد أن بوسعها منح الشرعية ومصادرة الشرعية كما تشاء.

أما نحن فما زلنا نتعلق بحبال الاتفاق الانتقالي الواهية، أملا منا في إعادة فتحها من جديد بعدما نقضها شارون أنكاسا. فالاتفاق الانتقالي هو الوثيقة التي سبق للولايات المتحدة أن كانت راعيتها. ونحن ما زلنا نحاول مد الجسور نحو أعتاب أمريكا التي لم يغننا عنها العالم العربي والإسلامي ولا عالم عدم الانحياز ولا العالم الآسيوي والأفريقي ولا الاتحاد الأوروبي. فكلما التفتنا وأينما التفتنا وجدنا أمريكا وراءنا وأمامنا، تتأله في الأرض، وتستأجر الضمانر والألسنة، وترهب الجميع بدعوى محاربة الإرهاب.

لعل من الأوفق بعد أن وصلنا إلى هذه المرحلة أن نلغي الألقاب الفضفاضة التي أطلقناها على أنفسنا، فنستعيض عن لقب الوزير بلقب (المسؤول) أو (المفوض) أو (الأمين) للدلالة على من يتولى رئاسة اختصاص ما، لأن الحقيقة أن اللقب الفضفاض، مع الواقع الهزيل، يبعث على السخرية مصداقا لقول الشاعر: "ألقاب مملكة في غير موضعها - كالمهر يحكي انتفاخا صولة الأسد"! وأعتقد أن المفترض في الشخصيات الفلسطينية المعاصرة أن لا تكون خفيفة الرأس بحيث تندمج في أدوار الهرة المستأسدة. فهذه الشخصيات عاشت أحداثا وتجارب كبرى قياسا إلى سائر الشخصيات في العالم. وهي في مواجهة واقع يحتاج للتخلي بروح الجنود المجهولين، لا بروح أصحاب الألقاب المتبهرجين.

حدثني البعض عن حمى الاستوزار التي ركبت البعض مؤخرا حتى دفعت اثنين منهم إلى (المبيت) في مقر الرئاسة. وقيل لي إن المعنيين ضاقوا ذرعا بهذا الإحراج المتكرر وطلبوا من بعض وسطاء الموسم ممن ارتفع التكليف بينهم وبين أولئك (البياتين) أن يبلغوهم أن مطمحهم في الوزارة غير وارد، ولكن بالإمكان جبر خاطرهم عن طريق خلعة تخلع عليهم! وحدثوني عن رواج سوق الوسطاء الحقيقيين والوهميين، وحدثوني عن محاولات البعض جعل بعض الترشيحات أمرا مفروضا عن طريق نشرها في الصحف. وحدثوني عن أناس يطالبون بوزارات ثم يقتنعون بالخلع السنية. وحدثوني عن أناس دأبوا على تغذية وسطاء معينين بأصناف الفواكه والخضار التي ينقلها السائقون في صناديقها من مؤخرة سيارة هذا إلى مؤخرة ذاك..

الله أكبر! أكون مدننا وقرانا في الضفة محتلة، ومدننا وقرانا في القطاع تحت طائلة مدافع الدبابات وصواريخ المروحيات، ويكون مصير القضية كلها كالريشة في مهب الإعصار الأمريكي - الإسرائيلي،

والعراق ذخر الأمة ينتظر ساعة الصفر الأثيمة، ويكون شاغل البعض هو اللقب وامتيازات اللقب؟! كيف ينال بعض الناس ملء جفونهم ولا يكبرون عن مطامحهم الذاتية في هذا الأوان؟

لقد كان مجتهدو الأمة القدامى على حق حين أرادوا سن قاعدة تقول: " طالب الولاية لا يولى ". وذلك تأسيسا على الحديث الشريف القائل: " إنا لا نولي هذا الأمر أحدا سألته أو طلبه ". والحديث القائل: " إنها (أي الإمارة) أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها ".

النجبة المؤهلة للحكم

والحقيقة أن مشكلة السلطة وتداولها هي من أعقد مشكلات العصر. فالديمقراطية التي بالغ الأمريكيون في التبشير بأنها الديانة الجديدة في زمان قوتهم ونفوذهم، عجزت عن تشكيل حل صحيح لمسألة (النجبة) المؤهلة للحكم. وقد تركت هذه القضية الخطيرة لممارسات المحافل الماسونية واللوبيات وتروستات المال والأعمال في الظلام، ولممارسات الأحزاب السياسية التي تعمل ظاهريا في النور، وهي مجرد واجهات في الحقيقة لحفنة الرجال الأقوياء المتربعين على عروش المحافل واللوبيات والتروستات. ومن هنا فإن الأشخاص الذين يجري اختيارهم وفق هذا النظام هم المرتبطون بشبكة علاقات أوصلتهم إلى مراكزهم، في حين لا يقيم وزن للكفاءة إلا في المقام الثانوي، ولا وزن على الإطلاق للمناقبية الأخلاقية وللأمانة.

قد تتحمل الإمبراطوريات الكبيرة هذه المناهج الخاطئة، وإن كان كل شيء بحسابه وكل خطأ من هذا القبيل هو بمثابة نقطة الماء التي تظل تنزل على الصخرة حتى تشققها ذات يوم.

أما نحن فإننا بحاجة ماسة إلى فريق من المسؤولين أو المفوضين أو الأمناء الذين تتوفر فيهم الأمانة والنزاهة قبل كل شيء، بعدما عمت الشكوى من الإثراء غير المشروع ومن الاجترار الخطير على المال العام واحتكار السلع ومحاباة الأقارب والأعوان. وهناك أكفاء في كل ميدان وهناك أمناء في هذا الشعب، فالدنيا لم تخل منهم. أما الجمود على المناهج الأولى التي لا ترضي عدوا ولا صديقا فذلك هو العناد غير المفهوم وغير المعقول. إن افتراض العصمة في الاختيار الأول، والاعتقاد أنه ليس في الإمكان أبدع مما كان، أو الاعتقاد بأن جميع الناس يسقطون حتما في تجربة المال والسلطة وأن اللص القديم الذي شبع خير من مشروع لص ما تزال شهيته على أشدها، أو تفضيل شخص خرب الذمة لأنه سيظل طيعا لا يعصي ولا يخالف، إن ذلك كله غير صحيح البتة. فقد ثبت لأصحاب هذه الآراء بالتجربة أن اللصوص القدامى هم الأكثر جشعا وجرب بطون وأن بعض الذين كانوا محسوبين في الجيب الصغير كفروا بالذي خلقهم ووضع الملعة الذهبية في أفواههم.

المرء لا يدري هل بقي وقت كاف لاستنباط الدروس والعبر أو لتغيير الألقاب، ولكن كلمة الحق يجب أن تقال في أي وقت - شأن الفسيلة التي دعينا لغرسها إذا كانت في يدنا، ولو في الثانية التي تسبق القيامة !-

أسلوب جديد في التخريب الصهيوني

بعد أصناف التخريب التي أبدعها خيال قادة إسرائيل، لاسيما منذ عهد باراك حتى الآن، ومنها تجريف الأراضي وحرث الشوارع الأسفلتية وردم الآبار وقلع الأشجار (وبخاصة الزيتون) وقتل الحيوانات والدواجن وإبادة المزروعات ونسف منازل السكن ونهب المصانع وتدمير المخارط والمحادر، ابتكر خيال قادة إسرائيل في حي الشيخ عجلين على الشاطئ الجنوبي بمدينة غزة صنفا جديدا من صنوف التخريب لا يخطر على بال الشيطان نفسه، ففي ليلة الجمعة الماضية، تقدمت الدبابات الإسرائيلية وبصحبته الجرافة الضخمة من مستعمرة نيتساريم إلى الشارع الأسفلتي الساحلي الوحيد الباقي مفتوحا ما بين غزة المدينة وبين المنطقة الوسطى، وقامت الجرافة بحرث الشارع، ثم انتقلت الدبابات تحت ستار كثيف من النيران نحو جامع الشيخ عجلين، وهناك وقفت على مفترق الطريق الترابي الذي يقيم على جانبيه آل شملخ، وأمطرت بيوت المنطقة بوابل من نيران رشاشاتها الثقيلة بينما قامت الجرافة بالصنف الجديد من صنوف التخريب التي أشرنا إليها: إذ حفرت ناصية الشارع عميقا، إلى أن وصلت في حفرها إلى خطوط الماء والكهرباء والهاتف فقطعتها إربا، وتركت أكوام الرمل تسد الطريق الترابي، وبالطبع قطع التيار الكهربائي والماء والهاتف عن الحي بأكمله.

وجدير بالذكر أنه لم يمض إلا قرابة شهر أو يزيد على المذبحة التي قامت بها الدبابات بمدافعها في الحي ذاته وراحت ضحيتها عائلة بمن فيها الأم وأولادها وأقاربهم الذين كانوا غافلين ببيتون تحت عريش صيفي في موسم قطف العنب والتين.

ومنطقة الشيخ عجلين في الساحل الجنوبي لمدينة غزة شهيرة بأعظم ثمار العنب الذي يفوق بجودته عنب الخليل وبالتين البحاري والموازي الذي لا يضارعه أي ثمر من التين في العالم كله. وكل ذلك سبق لقوات الاحتلال أن جرفت أشجاره تدريجيا على مدار زمن الانتفاضة وجعلت المنطقة قاعا صفصفا وصحراء جرداء.

ما الذي سيبدعه الخيال الصهيوني بعد هذا الإبداع الأخير؟ سؤال لا يستبعد أية إجابة!!

لقطات الأسبوع

[?] من الأمثال التي يضربها الناس عن انعدام الجدوى مثل يقول: كأنما يبحث الرجل عن إبرة في شوال قش! فما بالك إذا كان الأمريكيون يبحثون في طول القارات وعرضها عن خيط يمكن أن يربط بين عمل القنص الأمريكي القاتل في واشنطن، وناقلة النفط الفرنسية في اليمن، وتفجير الملهى الليلي في إندونيسيا؟ ولنفرض أن بن لادن وراء ذلك.. فما الذي ستفعله السي آي إيه أكثر مما فعلته حتى الآن؟ وما الذي سيفعله الطيران الأمريكي أكثر من قصف تورا بورا؟

* الجيش وسلطة السجون في إسرائيل محتارون: ما العمل في الفلسطينيين الذين وقعوا

في الأسر خلال الانتفاضة؟ ومن المسؤول عن إدانة اعتقال أكثر من ٢٧٥٠ شاب منهم؟ الجيش الذي اعتقلهم في مداماته للضفة والقطاع يريد التنصل من هذا العمل لأن إدارة السجون والمعتقلات مرهقة لجنود الاحتياط المستدعين للخدمة وغير المؤهلين لذلك العمل، وسلطة السجون التي اكتظت سجونها عن آخرها تريد التنصل من هذا العمل الذي يفتضي بناء سجون جديدة أولا. أما نحن فنأمل أن لا يدين بوش وإدارته الفلسطينيين بسبب كونهم أوقعوا الإسرائيليين في الحيرة وسببوا لهم هذا الصداع!!

[?] لعبة مقصود بها التنويع وتغيير الروتين لا غير: توني بليز يصرح إن محادثات التسوية بين الفلسطينيين والإسرائيليين يجب أن تجري قبل نهاية العام الحالي، فيرد عليه الأمريكيون: لا.. ليس قبل ٢٠٠٥ وفق رأي اللجنة الرباعية وحسب توقعياتها. وحقيقة الأمر أن التوقيت عند شارون، وأن شارون يريد أن يكون موته أسبق من أي حل يعطي الفلسطينيين شيئا ولو مزقة من تراب وطنهم المحتل.

[?] في حين يأتي المبعوث الأمريكي وليم بيرنز في جولته الجديدة قائلا إنه لن يجتمع مع الرئيس عرفات، يصرح شيمون بيريس إن شرعية عرفات ليست محل شك وإن بوسعه الذهاب إلى غزة. عجباً! لماذا غزة بالذات؟ المعنى في بطن بيريس طبعاً.

[?] هناك شخصيات هي أشبه بما يطلق عليه الناس (الفسافيس) التي تظهر في غفلة من الليل أو النهار على سطح الجلد. ولكنهم يحسبون أن ظهورهم على السطح جعل منهم شيئا مهما. ويجهلون أن أقصى ما يمكن أن يصلوا إليه هو أن يطلق عليهم وصف (الدمامل)!

